



دانيلو كريستوفيتش يأخذنا الى زوايا قريبة، في النواحي القريبة، صور المقابر الجماعية، اما الصور الاكثر وجعاً وحساسية فهي صور الامهات البوسنيات في عدسة كاميرا الميني زنو، وصور «المسرح الفقير» لضياء غافيتش حيث الجثث المخزنة في الاعلى ومعلقاتها الشخصية التي لا تكاد تذكر، السبحة، والسكين، والملقعة والمشط، لعل فراغ الفراغ اذاً في صور سيمون لرفولك. العالم القائم على فراغ، برودة الحياة نفسها، كما برودة الموت في المعادلة البصرية المرئية، وفي النظرات الخافتة والصامتة غير المرئية.

عالم من كائنات خرافية فقد الاحساس بكل شيء. لم يبق منه الا الصورة، مادة توثيقية تشفي اسراراً وأصواتاً انسانية عمياء درامية وحشية حين تقتل البشر.

في العواصم

يذكر ان هذا المعرض نظم للمرة الاولى في العاصمة البلجيكية بروكسل في حزيران (يونيو) ٢٠٠٥. بعدها سافر المعرض الى بلغراد وبرلين وواشنطن وستراسبورغ (فرنسا) وسراييفو وواكب المعرض في كل المراحل التي حل فيها نقاشات تاريخية سياسية في المسائل التي يفتتحها استذكار سربرينيتشا. معرض بيروت واكفته ندوة حاضر فيها أمين مكي مني (المحاسبة على جرائم الابادة في الاطارين المحلي والدولي)، وحازم صاغية (المتقف بين يدي المجازر) ومرصاد توكاشا (محل الوقائع في سياقات الجهر بالحقيقة والمصالحة) ونزار صاغية (الجرائم ضد الانسانية في دولة: لبنان نموذجاً).

في الصور تبدو صناعة الموت مزدهرة بالاسود والابيض، وهو ما عبر عنه المصور ضياء غافيتش، عندما قال في محاضرة له في الهنغار: «ان معظم المقابر الجماعية تكتشف في أماكن جميلة. لا يمكن دفن الوحشية في امكنة بشعة» من دون ان يعثر عليها



بقايا جثث تكبر قصصها

لماذا في بيروت؟

لماذا سربرينيتشا في بيروت؟ هل هو الغمز من قناة البلقنة و«البلننة» والمقابر الجماعية او بمعنى الخروج بالارادة الحرة من العنف والفظاعات في كرونولوجيا اخرى غير كرونولوجيتي لعل وعسى.

الصور القليلة في المعرض حسية ومعبرة، تخلف مناخاً من التعاطف، عالماً أسود انطولوجياً بالضوء من صور روجيه هوتشكينر ومربعات العائلة والبؤس والاطفال، الى صور دراكو بانديتش وتفاصيلها المتحركة والدينامية وحضور الجسد ونظراته المتحولة والمائلة. اما صور اتشيف هودفيتش فصور مخيمات اللاجئين بالوان سترى صوراً اميركية قلقة تحاول ان تلتقط تفاصيل الحياة القليلة في كادر الصورة الملتبسة. هل الصورة هنا هي بورتريه الواقع، بورتريه عنف الواقع، ام هي الأعتف من الواقع نفسه الى ما بعد الواقع في الصور المرعوبة لكاميرا محمد موجكيتش حين تخبر الجثث والجمامع قصصها وحكاياتها التلفة.

صور بموتيف قلق حين يصير الموت أشياء، ليس أشياء، دلالات على الأشياء هي نفسها، او غيرها او أجزاء متحللة. لا تدري معها من حكم الموتى، الموتى الحقيقيون او أهالي الضحايا الذين لا يستطيعون التعرف على جثث الالدهم، ام نظرات الزائر التي تحاول ان تبني علاقة ولو ميتافيزيقية وجودية انسانية مع تلك الصور.



الترحيل القسري

معرض صور سربرينيتشا - الجريمة والعقاب... صناعة الموت بالابيض والاسود في أمم للتوثيق والابحاث وندوة ووثائقي

سربرينيتشا - الجريمة والعقاب في معرض صور وندوة وعرض سينمائي بتوقيع أمم للتوثيق والابحاث بالتعاون مع مؤسسة هاينريش بول. في الهنغار الكائن في محلة الغبيري حتى الرابع عشر من ايار (مايو) الجاري. طقس بارد من ثقافة الصورة، التي تؤرخ لذاكرة ليست بعيدة كثيراً عن اللبنانيين، لا بل ان الايام تصنع نفسها في بورتريه تصنع واقعاً واخر على الحيطان المعلقة والكاتمة صور اصحابها ما قبل المجزرة، ما بعد المجزرة...

المعرض في كل الاماكن التي عرض فيها اتخذ طابعاً عالمياً وانسانياً، احياء لمجزرة من مجازر التاريخ الحار ما بعد الحرب الباردة، مع ما فتحته من سجلات واسعة حول الحرب، ومستقبل الحروب الصغيرة في العالم، والتي كلفت العالم ضحايا، اكثر من ضحايا الحربين العالميتين الاولى والثانية. فالعنف والهجرة، التهجير، والانقسامات الاثنية والفقر، وتدمير البيئة والطبيعة من سمات الحروب المعلقة وغير المعلقة، والتي تفتح باباً آخر على

زوال الدولة التقليدية، لصالح ايدولوجيات قومية أكثر تشدداً وعنفاً، وتطرفاً.

انها خريطة الالم نفسها، تطرح في بيروت اسئلة حارة وقريبة، مثل الاسئلة التي طرحتها الصور نفسها في بلغراد وبرلين وواشنطن وستراسبورغ وسراييفو، وان بدرجات، ومستويات متفاوتة ومتباعدة.

معظم الناس، اكتشفوا فظاعة الصور وما جرى في سربرينيتشا، ومن خلال الصور الثلاثين او اكثر المعروضة في الهنغار تشكل ذاكرة مهمة تستدعي عالماً وواقعاً عنيفاً في طلب الجثث، وفي طلب العنف، في التعرف على المفقودين، وعلى الجثث وعلى المقابر الجماعية، من النوع المشابه الذي يقبع عليه لبنان حالياً، وفي مستهل التعرف على أهالي ضحايا الميليشيات تكاد تكون الوجوه واحدة.

عالم فانتازي من الالم والوجع والجمامع والمقابر، والكسور والجروح، والطبيعة الميتة، في احد المواقع الاكثر جنوناً ووحشية في التاريخ المعاصر. ذاكرة سربرينيتشا تساكُن ذاكرة بيروت، والطبيعة الانسانية نفسها تصنع البرد، والصقيع في أطراف كادر الصورة، مع الثلج الذي يطمس المروج والجثث والهياكل، ويقاسم الوجوه تقاسيمها وحرارتها، في البؤرة الشعرية القاتلة.



مخيمات اللاجئين

بسهولة، دائماً ما يستعان بالجمال لطمس الجرائم». كثيرة هي الجثث في المعرض، والصورة أكثر عنفاً من الواقع. هل الصورة تخدم المجزرة، تغطيها، ام تحاكمها. كثيراً ما نفعله هو الصمت، في سياق حركة الصورة، التي تتساقط جثثاً ورساوصاً في وادي الظلمات.

بين كرونولوجيتين

مشهد كهذا لا يمكن ان يمر، مثل صورة من يبحث عن تلك الاوقات العصبية في مخيمات اللاجئين، او معاينة المقتنيات الخاصة للضحايا.

قد تتلازم المجزرة مع تصغير الوطن والدولة تماماً كما تتلازم مع تكبيرهما. ابعد من ذلك لا يمكن تأويل تلك التقنية الهمجية من تفنينات الارتكاب، والربط بين الدولة - الامة؟ الوطن/الشعب، وتجنب الارتكاب.

المعنى البسيط للانسان هو الحياة، والمعنى الاعدد، اي الموت ليس صدفة، ذلك ان العنف في كل مكان، في وسعه تدمير سلطة قديمة لكنه لا يستطيع ان ينشئ وضماً جديداً يوفر الشرعية لسلطة جديدة. لذلك فالعنف أوفر ركيزة ممكنة لتشييد سلطة عليها.

معظم المقابر الجماعية تكتشف في أماكن جميلة، لا يمكن دفن الوحشية في امكنة بشعة... دائماً يستعان بالجمال لطمس الجرائم

هل يمكن مسالمة العنف، وهل يمكن اطلاق النسيان المؤقت بالتراضي؟

سؤال في طبي ملفات الحرب من دون السقوط مجدداً في دوامة العنف، والمقصود هنا هو قانون العفو، من باب مساهمة الصورة الآتية من بعيد في انعاش الذاكرة اللبنانية حول نتائج الحرب بمقدار ما تصلح للتحذير من مقدمات حروب تنتهي الى النتائج نفسها. لذلك للنشاط قيمة مضافة، وقيمة مضافة لسربرينيتشا في بيروت، او سواها من البلاد، التي لم تفرغ بعد من دفن قتلاها، او التي تؤجل اعلان الحداد عليهم. الصور ليست سوى نسخة عن جريمة الحرب. كل على طريقته، وبما تحت يده من أسباب القتل، وبما تحت أعيننا من أسباب الالم والقلق والخوف

بين كرونولوجيتين لبنانيتين: الحرب والسلم! ■

يقضان التقى



الصنع بطمس الجثث